أبطال لم يذكرهم التّاريخ الرّسمي ضمن قائمة رموز حركة التّحرير الوطني:
عبد الله الغول – أحد أبطال التّحرير

عبد الله الغول

"عبد الله الغول الذي ولد سنة 1910 هو ابن المقاوم عمر الغول المرزوقي (أُعدم سنة 1950) ، من عرش أولاد عبد الله من مرازيق العوينة .. وأب عبد الله هذا أي عمر الغول هو أحد أبطال الجهاد الليبي– التونسي ضد الاستعمار انخرط في "الجهاد" سنة 1915 بعد نداء خليفة المسلمين بالأستانة في صفوف مجاهدي طرابلس بقيادة خليفة بن عسكر وشارك في معارك عدّة ضدّ الايطاليين في الغرب الليبي وضمن ثورة الودارنة حيث اشتهر عمر الغول وغطت شهرته على غيره من مجاهدي المرازيق نتيجة مهارته في إصابة الهدف وسرعة حركته في الرمي وفي التنقل ومن أشهر الوقائع التي ظهر فيها اسمه واقعتي الهيرة الأولى والثانية، وقبلها واقعة زار.

كان من الأبطال عبد الله الغول الذي شارك في معظم المعارك التي خاضها المرازيق ومن ذلك :

معركة قصر تارسين 24 ماي 1944م

معركة دوز 29 ماي 1944م

معركة بئر الأدنس 12 جوان 1944م

معركة طويل الصابرية 15 جوان 1944م

معركة تامزرط 28 جوان 1944م، شاركته فيها زوجته حليمة بنت عمر عبوده.

معركة قويرات الحب في صيف 1944م

معركة بن عسكر في صيف 1944م بالتّراب اللّيبي

رفض الاغراءات بالاستسلام والعفو عليه من السّلط العسكرية الفرنسية حتى قتل غدرا وجزّ رأسه إثر خيانة في أحد مرابع التوارق في الجنوب على الحدود الجزائرية و ارسل لموطنه دوز ليراه الناس و يرتدعوا و الغول الأب هذا هو الثائر الوحيد تقريبا الذي سار أبناؤه على هديه في مقاومة الاستعمار.

عبد الله الغول له اذن ثأر مع فرنسا، ثأر عائلي و ثأر وطني لذاك سنجده ضمن من رفعوا السلاح في وجه فرنسا لاحقا و خاصة في "ثورة المرازيق" (1943–1944).

–2عبد الله الغول في "ثورة المرازيق"

لقد كان وضع الحرب العالمية الثانية وضعف فرنسا وتحوّل محميتها تونس إلى شبه محمية ألمانية وإيطالية، خاصة منذ نزول قوات المحور بها في نوفمبر 1942، فرصة أخرى جرّأت التونسيين عامة على تحدّي فرنسا والتمرّد على سلطتها بتونس وكان الأمر في الجنوب أكثر خطورة إذ اتخذت المقاومة الوطنية شكل مجابهة عسكرية بين "الثوار" والقوات الفرنسية من أواخر 1942 إلى صائفة 1944، كانت أهمّ فصولها انتفاضة المرازيق هذه التي كان عبد الله الغول أحد أبطالها ضمن أبطال آخرين.

وقد جدّت عمليات المجابهة الأولى مع فلول الجيش الفرنسي المرتد نحو الجنوب والجزائر أمام تقدّم قوات المحور، التي دخلت دوز في 12 نوفمبر، في 13 نوفمبر 1942 ببئر عوين ثم بقعر ناضر وفي مواقع أخرى وكانت أعمال المقاومة هذه من فعل عصابتين مدججتين بالسّلاح يتراوح عددها بين 35 و 60 فردا من دوز وقبلي والصّابرية في علاقة مع ربايعيّة جهة الواد بالجزائر وفي 28 ديسمبر 1942 تمرّدت فرقة من مخازنيّة المرازيق بقيادة محمّد بن خالد بفورسان (Fort Saint) على قائدها الفرنسي والتجأت بأسلحتها ومهاريها إلى غدامس لتحتمي بالإيطاليّين هناك وفعلت فرقة أخرى من المخازنيّة الأمر ذاته بالجريد، وعادت بأسلحتها وإبلها إلى دوز لكن أهم مجابهة لقيها الجيش الفرنسي بالمنطقة كانت من مرازيق دوز وبدعم في الأول من الايطاليين، الذي طردوا وحدات الجيش الفرنسي وأخذو مكانها، وكانت هذه المليشيا من الشبّان الحُماة (علي الصّيد وعبد الله الغول والطاهر بن عبد الملك وحامد بن عبد الملك وحمد بن عبيد وحمد بن علي بن ناجي الأحمر والعيد بن محمد بن الحاج) تسلّحت في جانفي 1943 للدّفاع عن قرية العوينة وصدّ هجومات وأعمال النهب التي كانت تقوم بها وحدات الجيش الفرنسي المرابطة جنوب دوز.

وسرعان ما تطوّرت هذه المقاومة من حيث ازدياد عدد المنخرطين فيها وكثافة المعارك وكانت أهمّها، قبل انسحاب القوات الايطالية من المنطقة وإعادة احتلالها من الفرق الصّحراوية الفرنسية في 23 مارس 1943، معركة المنقار بضواحي العوينة (1 جانفي 1943) وواقعة وادي المالح (23 جانفي) التي قتل فيها الملازم دي لابريار وأسّر بعض جنوده وواقعة طويل كعرودة (13 فيفري) جنوب دوز والتي قتل فيها قائد دورية فرنسية وأسّر إثنان منها. وبدخول القوّات الفرنسيّة إلى دوز من جديد وانسحاب "المجاهدين" طفقت تنتقم من السّكان وتنكّل بالأهالي (اعتقال العديد من الرّجال والنّساء في البرج العسكري وتفجير منازل الفارين...) وتحوّلت المصادمات خارج دوز وكذلك داخلها وكانت أهمّ أحداثها معركة دوز (28 ماي 1944) حيث هاجم المجاهدون البرج (الثّكنة) و كان من ضمنهم عبد الله الغول بقيادة عليّ الصّيد وتمكنوا من الانتصار على الحامية الفرنسيّة وقتل قائدها وأسّر البقيّة وحرّروا عائلاتهم المأسورة وفرّوا على

شاحنات خارج المنطقة، لكن القوات الفرنسية استرجعت البرج في اليوم الموالي إثر انسحاب الثوار وجندت قوات كبيرة (1500 جندي) معزّزة بالطائرات والدّبابات طفقت تطارد المقاومين ربيع وصيف 1944 من جبال مطماطة شرقا إلى الحدود الجزائرية غربا لتتمكن من تصفية جلّهم في عمليات المطاردة هذه أي سبع وثلاثين على ثلاث وأربعين مجاهدا تقريبًا.

و نتوقّف هنا عند احدى هذه المعارك البطولية التي خاضها الثوّار ضد وحدات الجيش الفرنسي و كان عبد الله الغول أحد أبطالها و هي المعركة التي وقعت في المكان المسمي"بئر بعجة" (8 كلم شمال غربي بئر زميط) في عز الصيف يوم 27 جوان 1944 بين المقاومين و سريّة من 60 جنديا سينغاليا يقودهم العريف اول سارج ميشال و دامت المعركة من الصباح حتى الواحدة و النصف بعد الزوال لينسحب الثوار لكن ليصطدموا من جديد من الغد، بوادي بن شعبان بالمكان المعروف ب"اللّقن"، بقوة اخرى فرنسية عدادها 150 جنديا حيث دارت معركة غير متكافئة بين الطرفين استبسل فيها المقاومون، وقد كتب مؤلّفا "ثورة المرازيق" يقولان إنّ عبد الله الغول ورفيقه محمّد خميس: "لم يتردّدا أن دخلا في معركة حامية مع اعوان الفرنسيّين(...)"، كما "قفزت بعض النّساء الجريئات في مقدمتهنّ مباركة بنت عمر بن عبد الملك أخت أبناء عمر بن عبد الملك، و زوجة الشّهيد حمد بن بلقاسم بن عبد الملك وحليمة بنت عمر بن عبودة زوجة عبد الله الغول، قفزن على الأسلحة وشاركن في المعركة بكلّ جرأة" . وقد انتهت المعركة بانتصار الثوّار وانسحاب الجنود الفرنسيّين خاصّة عند هروب المتطوّعين في صفّهم من قرية مطماطة. وقد خلّد الشّاعر عبد الله بن عليّ بن عبد الله هذه المعركة في قصيد منه الأبيات التّالية:

وقع ملطم في اللقن وواده ما بين العديــان
فزعت مطماطة في حشادة بنعيسى وتوجان
حاكمهم يُومر في أولاده شدّوهم شــــدّان
اليّ يجيب الغول وميعاده نعلّقله نيشــــان
كلّ واحد ينده في جواده طامع بالسّعيــان
يحساب الحزبي واصهاده مسكوبة كيسان
تلاقوا وين البرّ تعادى رِدّة بن شعبـــــان
الطّاهر ولد عمر تمادى صابر للنّيشـــــان
زوايلهم قعدوا في حمادة للذيب الجيعــان
صعيب بحره من يدهم واده لا قدّوا يطبّـوه
برمُوا مِنّه عطاش كساده جهار شايح خلّــوه

وقد تمكّن عبد الله الغول من أن ينجو مع رفاقه من ملاحقة الجيش الفرنسي والقوميّة والمخازنية، والتجأ أوّلًا إلى جبال مطماطة قبل أن يلجأ إلى طرابلس صحبة أخيه محمّد وثلّة من المجاهدين الآخرين، حيث كانت السّلط الفرنسيّة تتتبّعهم كمجرمين متعاونين مع العدوّ، فتمّ اعتقال عبد الله وأخيه و رفيقهما المكّي بن محمّد بن بوبكر من البوليس الانجليزي بليبيا سنة 1945 ليسلّمهم مكتوفي الأيدي للسّلط العسكريّة الفرنسيّة.

ويحكي بوبكر عزيّز، المناضل النّقابي والوطني المعروف، والذي التقى عبد الله الغول في السّجن المدني بتونس سنة 1948 يقول عنه: "إنّ هذا الرّجل الأسطورة جدير بأن تنقل ذكراه من جيل إلى جيل، فلم يصارع العباد والصّعاب

من أجل نظرة اقتصادية أو اجتماعية ، لقد كان عنتريّا فحسب...فعبلاه كانت حياة الأنوفة" . يستطرد ليقصّ ما سمعه من الغول ذاته كيف تمكّن من الهروب "وجيء بقوميّة من بني قومهم للتعرّف عليهم ، ولمّا تمّ ذلك سلّمتهم السّلط الانجليزيّة الى القوميّة التونسيّين و قيّد الأسرى، ورُمي بهم في السيّارة التي انطلقت في اتّجاه بلدة دوز ليعرضوا هناك على الأهالي لتذكيرهم أنّ فرنسا هي الأقوى...وأقبل اللّيل وقد بلغت السيّارة "كاف العنبة"(بين تطاوين وبني خداش) وكان عبد الله قد تمكّن من الخلاص من قيوده بأعجوبة فرمى بنفسه في "الكاف"، انجاءًا له من القتل واعدادًا لمواصلة جهاد اصطبغت به روحه (...)، فأصيب النّاقلان للمجاهدين بذهول، ثمّ قرّرا إعدام أسيريْهما المتبقّييْن، وهما أحمد الغول والمكّي بن محمّد بن بوبكر، على عين المكان".

ويبدأ فصل آخر من حياة عبد الله الغول.

3 – عبد الله الغول من السرّية الى الإعدام:

لجأ عبد الله الغول فترة عند معارفه من الحوايا في بني خداش لينتقل بعدها الى الوطن القبلي ليشتغل في منجم ام الذويل تحت هوية مزيفة ، لكن سنة **1947** سيقع كشفه ، بعد وشاية، و يلقى عليه القبض في **22** اوت و يجلب للسجن المدني ليقدّم للمحكمة العسكرية .و في مقال كتبه الضباط الفرنسي جون سيران لصحيفة "لا دباش تونزيان" بتاريخ **15** جويلية **1948** بعنوان" هنالك فلاق سيحاكم و هاهو نص الاتهام" ، وعبد الله الغول كان موقوفا يترقب محاكمته، نستشف منه صورة هذا الرجل عند اعدائه، فهم بقدر اكبارهم للرجل و الاقرار بخطورته هم يحقدون عليه ، اذ كان النقيب جون سيران **–Jean Seran** –هذا يقود مفرزة من فرسان المهاري تتعقب المتمرّدين في الاربعينات اثناء انتفاضة المرازيق و له اطلاع عن كثب عن عاداتهم واوضاع نفزاوة عامة.يقول جون سيران عن الغول:"(...) يوجد حاليا رهن المحاكمة فلاّق ذو قامة كبيرة .و بالفعل أنّ عدد جرائمه و نوعيتها تجعله ، وزيادة، على رأس قائمة كل الفلاقة ماضيا و حاضرا، انه عبد الله بن عمر الغول من دوز الجنوبية ،و قد ورث كنية الغول عن والده المتمرّد سنة **1915** و الذي افشل لمدة تسع سنين السلط الأمنية في القبض عليه. كان ممتهنا التهريب (كناتري) وله من القدوة حتى لا يتوقف عند ذاك و يمارس بطولاته" ، ثم يعدّد سيران مختلف الوقائع و المعارك التي خاضها الغول مشددا على قساوته مع اعدائه و تعدد من قتلهم في المعارك من الفرنسيين و من التّونسيّين المتعاونين معهم وحتّى من بين الأسرى، كذلك ينوّه هذا النّقيب ببراعة الغول في الافلات من التّتبّع والإيقاف. ويذكر كيف أنّه صُنّف منذ سنة **1944** "عدوًّا للوطن"، وأنّ المحكمة العسكريّة سوف تحاكمه بتهم "قطع الطّرق" و"الخيانة" و"التّمرّد المسلّح" ليختم لائحة الإدانة بوصف عبد الله الغول بأنّه "لصّ تافه ومجرم من أسوء الرّهوط : "

(« le Ghoul est une crapule forcenée de la pire espèce…)

عبد الله الغول لم يقسُ عليه أعداؤه فحسب، فذاك من طبيعة الأمور، بل كانت القساوة من الشقّ الوطني، إذ التزم قادة الحركة الوطنيّة الصّمت تجاه قضيّة بطل مقاوم يُحاكم من أجل رفعه السّلاح ضدّ مَن يحتلّ وطنه، ولم يتطوّع أيّ محام منهم للدّفاع عنه، والحال أنّ قادة الحزبيْن الدّستوريّيْن كان أغلبهم من المحامين، وكذا كان الإهمال من الاتّحاد العامّ التّونسي للشّغل، إذ كانت هذه النّقابة في عزّ قوّتها سنوات **1948– 1950**.

الأمر يُفهم عندما نتذكّر أنّ مكوّنات الحركة الوطنيّة وحتّى جناحها المتجذّر، أي الحزب الحرّ الدّستوري الجديد وزعمائه، كانوا زمن ذاك يدفعون عنهم شبهة رفع السّلاح في وجه المستعمر ولا يقبلون التّورّط في الدّفاع عن "متهوّرين" التجؤوا للسّلاح للدّفاع عن كرامتهم وعن وطنهم.

وهذا الموقف تجاه عبد الله الغول كان مماثلًا لموقف آخر في ذات التّاريخ، تجاه فلّاقة زرمدين الذين خذلهم الحزب، وهنالك شهادات تتحدّث حتّى على تفاهم بين الأمين العامّ للحزب الحرّ الدستوري آنذاك صالح بن يوسف وسلط الحماية للتّخلّص من هؤلاء المارقين على القانون، والذين كانوا "فلّاقة" يمتهنون الاختطاف والابتزاز و تطوّروا في وعيهم الوطني وتحوّلوا إلى كابوس يجابه الجندرمة الفرنسيّة، حيث تمّ استدراجهم وقتلهم في كمين للجيش الفرنسي بقرية لقطار سنة **1948** .

وسوف يتطوّع في قضيّة الغول، ومن خارج الشقّ السّياسي الوطني، المحامي اليهودي التّونسي ماكس شمّامة للدّفاع عنه، وقد أسرّ هذا المحامي لبوبكر عزيّز في **26** جويلية **1948** أنّه "أعلم أهل الحلّ والعقد بتونس بمأساة عبد الله الغول، ولم يحرّك أحد منهم ساكنًا بينما كان في امكانهم أن يتدخّلوا إيجابًا في شأنه، لأنّ الحكومة الفرنسيّة إذّاك كانت تغازل الدّستور، وأضاف الأستاذ شمامة: "لقد تحمّلت التّنقّل إلى باريس لتدعيم طلب العفو على عبد الله الغول الذي قدّمته باسمه إلى رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة فنسون اوريول، ورفض هذا المسؤول الاشتراكي العفو على المجاهد التّونسي، وهو يعلم جيّدًا ما فعلته المقاومة الفرنسيّة ضدّ الألمان".

رُفض إذًا طلب العفْو على عبد الله الغول وبقي بالسّجن المدني بالجناح "**F**" صامدًا "متدرّعًا بإيمانه الرّاسخ بالجهاد المتواصل الذي فطر عليه، والمدعّم بما ترسله إليه بين الفينة والأخرى والدته من بسيسة منقعة بدموعها"، كما شهد رفيق زنزانته بوبكر عزيز. ليُخرج من سجنه وينفّذ فيه حكم الإعدام بساحة السّيجومي في **20** نوفمبر **1950**، شامخًا، رافضًا وضع العصابة على عيْنيْه.

ومن ظلْم التّاريخ أنّ عبد الله الغول الذي ظُلم حيّا، ظُلم كذلك وهو ميّتًا، حيث لم يدرج اسمه في "السّجلّ القومي لشهداء الوطن" الذي أصدره الحزب الاشتراكي الدّستوري سنة **1978**. فقط رثى لإعدامه عشيرته ومَن كانوا في حاله من وطنيّة وإباء، وأحبّوه لوطنيّته.

وقد كتب في رثائه الشّاعر ضوّ لبيض مرثيّة منها:

وينه زعيم الفلاقة الّي كان عالي و متسمّـــي

عبد الله ومعاه رفاقه أولاد يداروا على الذمّة